بسم الله الرحمن الرحيم

شرع الله .. أم أهواء المخمورين

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله (وبعد) ..

فلا شك أن الذى يتعاطى الخمور يمتهن عقله وآدميته ، لأن الخمر رجس من عمل الشيطان ، بين الله تعالى أنها توقع العداوة والبغضاء بين المسلمين وتصرفهم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهى مفسدة خلقية واجتماعية ودينية . يقول تعالى « يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعاكم تفلحون. انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » .

ويقول العلماء المختصون فى علم الاجرام ان الخمور تحرك فى نفس شاربها الميل الاجرامى الكامن فى ذاته ، فيكفى عند هذا الشخص الذى يميل الى الاجرام أن يتناول قدرا بسيطا من الخمر لارتكاب أبشع الجرائم وأخطرها ، لأن الخمر تضاعف الرغبة فى الجريمة حين تتولد هذه الرغبة فى النفس .

وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمر بأنها أم الكبائر وأم الخبائث لأنها تزين للانسان الشر وتدفعه اليه . كما يروى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه قال « اياكم والخمر فانها مفتاح كل شر » وضرب على ذلك مثلا فقال « أتى برجل فقيل له اما أن تخرق هذا الكتاب (القرآن) ، واما أن تقتل هذا الصبى ، واما أن تسجد لهذا الوثن ، واما أن تشرب هذا الكأس ، واما أن تقع على هذه المرأة. فلم ير شيئا أهون عليه من شرب الكأس فشرب ، فوقع على المرأة ، وقتل الصبى ، وخرق الكتاب وسجد للوثن » .

وخلاصة القول أن الاسلام عندما حرم الخمر لم يحرم تعاطيها فقط ، وانما حرم جميع أوجه النشاط المتعلقة بصنعها وتداولها ونقلها وحيازتها .. الخ مصداقا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « لعن الله الخمر ، وشاربها وساقيها ، وبائعها ومبتاعها ، وعاصرها ومعتصرها ، وحاملها والمحمولة اليه ، وآكل ثمنها » .

* * *

وأقول بعد هذا الاستطراد اننا كنا نتابع قضية قد يراها البعض فرعية ، ولكنها فى الحقيقة تمثل صورة من صور الصراع بين الحق والباطل .. ألا وهى قضية الطيار الذى رفض أن يحمل الخمر على طائرته ، فأصدرت شركة الطيران قرارا بايقافه عن عمله حتى يكون عبرة لباقى زملائه من الطيارين الذين قد تسول لهم أنفسهم الامتناع عن حمل الخمور على طائراتهم . وقد نفذت الشركة قرارها بايقاف الطيار أخذا بمبدأ الحزم حتى لا تسير الأمور فى الشركة تبعا لأهواء الطيارين والمضيفين مما يهدد سمعة الشركة ، ويجعلها غير قادرة على المنافسة والتطور والأخذ بالأساليب المدنية الحديثة لتحقيق رفاهية الانسان .. الى آخر ما ذكرته الشركة من تبريرات لقرارها الحاسم حيال هذا الطيار المسلم المتأخر — فى نظرها — لأنه يفكر بعقلية القرون الأولى للاسلام .

ولكن الطيار رفع الأمر للقضاء ، حيث أصدرت محكمة الأمور المستعجلة بالقاهرة حكمها الذى يعتبر وساما لكل مسلم يعتز بدينه . ويتلخص الحكم فى الغاء قرار الشركة وتمكين الطيار من مزاولة مهنته كطيار على طائرات لا تحمل خمورا . وقد استندت المحكمة فى حكمها الى الشريعة الاسلامية ودستور البلاد حيث قالت « قضى القانون الأساسى لجمهورية مصر العربية (الدستور) المعدل بقرار مجلس الشعب الصادر بجلسة ١٩٨٠/٤/٣٠ فى المادة الثانية منه أن الاسلام دين الدولة ، واللغة العربية لغتها ، ومبادىء الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسى للتشريع » .

ثم ذكرت أن الدين الاسلامى فى مصر أقدم من كل الدساتير . وأن الاسلام لم يأت للعبادة فقط ، وانما لينتظم كافة نواحى حياة المؤمنين به فى دنياهم ابتغاء الفلاح فى أخراهم • وقد أمر الله بطاعته وطاعة رسوله وأولى الأمر فى قوله تعالى « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » •

وعلقت المحكمة على هذه الآية الكريمة بأن الله أمر بطاعته استقلالا ، وبطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم استقلالا ، ولم يأمر بطاعة أولى الأمر استقلالا ، بل حذف الفعل وجعل طاعتهم ضمن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ايذانا بأنهم يطاعون تبعا لطاعة الرسول • واستندت المحكمة الى الحديث الشريف « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » •

كما ذكرت المحكمة أن الشريعة الاسلامية حرمت الخمر تحريما مطلقا ، وجعلت العقوبة عليها من الحدود المقررة التى لايجوز لولى الأمر العفو عنها •

وهكذا انتصر الحق فى جولة من جولاته على الباطل •• هذا وان كانت القضية لا تتعلق بمسألة تقديم الخمور أو عدم تقديمها لركاب الطائرات ، الا أننا نهيب بكل مسئول يتمسك بهذا الباطل أن يفيق لنفسه ، وأن يثوب الى رشده ويعود الى شرع الله •• ذلك الشرع الذى يبغى صلاح البشر وهدايتهم لما فيه خيرهم فى الدنيا والآخرة• وكم نتمنى أن يأتى اليوم الذى تسير فيه كل تشريعاتنا جنبا الى جنب مع شرع الله ، نحلل حلاله ونحرم حرامه حتى يبارك الله لنا فى دنيانا ويرزقنا حسن ثواب الآخرة • يقول سبحانه « فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا ؟ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » صدق الله العظيم •

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه •

رئيس التحرير

نفحات قرآن

بقلم بخاري أحمد عبده

بسم الله الرحمن الرحيم

« ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ... » (١) .

على دعائم من دين يشد المؤمن الى المؤمن ، وفوق أرضية من تقوى ترفع القواعد ، ويسمق البنيان شامخا منيعا ، وفى حمى الفلاح المشيدة بقوالب من قلوب سليمة ينتشر النور ، ويظهر الدين ، ويبطش المؤمنون البطشة الكبرى فيجندل كل شيطان رجيم .

والقرآن اذ يحدوك الى القواعد ، ويهديك الى الأصول ، ويلج بك فى مسالك النمو والسمو .. والقرآن اذ يفعل ذلك يبسط لك مقومات الأمة الوسطى حتى تربيها فى نفسك ، وتحققها فى أمتك كى تستقيم بها شاهدة على الناس مصداق قول الله « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » كى تستوى خير أمة أخرجت للناس .

والمولى جل وعلا يمتن بالخيرية الشاملة التى أضفاها علينا بما أتاح لنا من هدى وأرسى من دعائم ، وبما علم ، وبين من سنن ، وحفز من همم ، ومنح من امكانات تحقق خير الدنيا وتكفل خير الآخرة ان هى سخرت وفق منهج الله ، وسيرت على هدى وبصيرة .

---

١ — مررنا بالآية هذه مرورا سريعا ولكن بنية العودة اليها كى ننعم بوقفة متأنية حيالها .

والقرآن كى يقرر حتمية تلك الخيرية الشاملة المترتبة على تلك الأصول أورد المعنى هناك بصيغة الماضى الذى يوحى بالتحقق « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .

وكى يؤكد أهمية الدور الذى أنيط بنا ، وضرورة الحركة الفعالة المطلوبة منا استعمل فى آيتنا « ولتكن منكم أمة .. » أسلوب الأمر الذى يكل القضية اليك ، ويضع الأمر بين يديك .

وكى يضفى على الطلب صبغة حاسمة صارمة تبعده عن معانيه المجازية من التماس ودعاء ... الخ تجاوز فعل الأمر الى المضارع المحدود بلام الأمر « لتكن » لأن ذلك يحرك ، ويثير ويدعو الى مزيد من اهتمام .

وكى يدل على وحدة المسئولية وشمول العاقبة وجه الأمر الى جميع الأمة . وكأن صنع الدعاة ، وتمكينهم ، وشد أزرهم مسئولية الأمة قاطبة .

وكى يتحقق التفاهم والتلاقى والتناصر بين أجهزة الدعوة وبين أفرادها استعمل كلمة « أمة » المشحونة بالدسم ، المنبئة عن حتمية تجمع البناء .

ذلك لأن الكلمة تعطيك بشعبها الثلاث ، بشعب الحقيقة ، والمجاز ، والايحاء :

١ ــ فالكلمة تأخذ من معنى القصد مفهوم أن كل نظير منجذب الى نظيره . ولذا تتنوع الأمم « وما من دابة فى الأرض ، ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم » ٣٨ الأنعام .

٢ ــ والأمة الرجل الجامع للخير . وأمة الدعوة ينبغى أن تعلو بنفسها ، وترنو الى الافق الرحيب وتتبوأ من ذلك الذروة التى تؤهلها كى تكون جماع الخير كله .

٣ ــ والأمة الامام وكلمتنا تستمد من هذا المعنى أهلية القيادة والريادة ، وترقى على ضوئه الى مستوى المسئولية الراشدة .

٤ ــ والأمة الجيل من كل حى . ومفاد هذا أن أمة الدعوة تجهد كى تتكيف مع البيئة ، وتنسجم مع الجيل ، وتعى المفاهيم الجديدة فى تفتح ، وتطور ، وتأثر ، وتأثير .

٥ ــ والأمة من هو على الحق . والدعاة لا يمكن أن يحيدوا عن حق ، أو ينحرفوا عن جادة ، أو يهادنوا باطلا ، أو ينعزلوا ، ويولوا الأدبار الا متحيزين لفئة أو متحرفين لقتال .

٦ ــ واللفظة تأخذ من الأم جلال التضحية ، والحب ، وروح الانتماء الى حقيقة أم هى حبل الله شريعة الحق .

٧ ــ وفى كلمة أمة معنى الكثرة . والداعية همه التجميع ، وغايته أن تربو الأمة ، وتعظم القاعدة .

٨ ــ وفيها رائحة الكمال . والداعية حريص على مقومات الكمال ، حريص على ألا ينتكس .

٩ ــ وفيها معنى الزمان . فهى اذن توحى بحسن استغلال الوقت ، واستباق الخيرات ، وبالمبادرة قبل الفوات .

هذه من معطيات كلمة أمة . ! اليها تطلع الخليل عليه السلام حين تضرع الى ربه أن يجعل من ذريته أمة .. « ربنا واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » ١٢٨ البقرة .

واكتمال هذه المعانى كان مناط امتداح الله الأمم السابقة اشادة بالدعامات التى التقوا عليها متوالين ، مستهدفين خير الدارين : « .. من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويسارعون فى الخيرات ، وأولئك من الصالحين . وما يفعلوا من خير فلن يكفروه

والله عليم بالمتقين » ١١٥ آل عمران • « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » ١٥٩ الاعراف • « وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » ١٨١ الاعراف •

وافتقاد هذه المعانى أدى الى الذم والتنديد بالأمم التى أهدرت مقوماتها فلم تتآمر بمعروف ، ولا تناهوا عن منكر ، ولا تواصوا بخير « واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم ، أو معذبهم عذابا شديدا ، قالوا معذرة الى ربكم ، ولعلهم يتقون » الأعراف ١٦٤ •

وتمضى الآيات ناعية على تفرقهم أوزاعا ، معرضة بالعتو ، والغفلة ، والنسيان ، وتحجر القلوب ، منددة بمآل السوء انتهوا اليه، وبصيرورتهم فرقا ، ومزقا ، منقطعين شذاذ آفاق ، تنفرد كل فرقة بخصائص باعدت بينهم فصاروا — بعد أن كانوا أمة واحدة — صاروا غثاء كغثاء السيل •• ليس لهم من معانى الأمة الا الشكل والعدد « فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء ، وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ، فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ، واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ، ان ربك لسريع العقاب ، وانه لغفور رحيم، وقطعناهم فى الأرض أمما منهم الصالحون ، ومنهم دون ذلك ، وبلوناهم بالحسنات ، والسيئات لعلهم يرجعون » ١٦٤ — ١٦٨ الأعراف •

وكذلك نحن تقطعنا قلوبا وأفكارا ، وتمزقنا فى الأرض أمما ، وتشتتنا نحلا ومذاهب وأحزابا • فلا غرو اذا نشطت الجرائم ، ونهشت الطفيليات ، وتنمرت الهرة ، واستنسر البغاث ، وبتنا فى وهدتنا نتناطح ، ونتصايح ولا مغيث •

ومعطيات كلمة « أمة » تجتمع فى قول الله « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » وفى قوله سبحانه « كنتم خير أمة أخرجت للناس » كذلك فى قوله تعالى « ولتكن منكم أمة » •

والكلمة على العموم توحى بالالتقاء وجدانا وفكرا ، وبالوحدة صفا وهدفا ، وبالامامة والريادة والرشد • وكلمة « منكم » تنفذ خلال ضمير المخاطبين « كم » الى كل ما سلف من خصال رشيدة وتوحى فى الوقت نفسه — بحكم ما يفيده كلمة « من » من تبعيض — بالانتخاب . فالدعاة نخبة نضجت فيهم تلك الصفات فتميزوا ، وتشكلوا فى قوالب الخير أنماطا فريدة ملاكها الربانية التى تحكم العقول ، وتنفعم القلوب ، وتورث الرفق وتهب البصيرة والسداد •

وظنى أن القرآن حين يدعو الى الموالاة بين المؤمنين ، وحين يحث على وحدة الصف والهدف بمثل قوله سبحانه « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » وان الرسول صلى الله عليه وسلم حين يسألنا المودة فى القربى ،وتمرا بقول الله « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى » وحين يحث على المشاركة الوجدانية بمثل قوله صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمنين فى توادهم ••• كمثل الجسد الواحد •• » فالهدف اذكاء وتنمية معانى « الأمة » فى الأمة حتى تستقيم صفا كالبنيان ، وتبرز بناء يشد بعضه بعضا ، وتبدو جسدا واحدا اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى •

والامة المسلمة المستجمعة لكل هذه المواصفات المبثوثة فى الآيات وفى متون الأحاديث خلاصة العالمين • والدعاة منها هم خلاصة الخلاصة • وهم الصفوة التى أنيط بها اتمام مسيرة الرسل • فهم ورثة الأنبياء فى دقة المعرفة ، ورقة الاحساس ، وتقدير هول المعركة المخوضة ضد الشياطين ، وادراك جسامة الخطر الذى ينتظر الناس ان هم وقعوا صرعى الشياطين ، وأسرى جهنم •

يندفعون بعاطفة المشاركة الوجدانية نحو موقع الخطر ينذرون، ويبصرون ، ويأخذون بالحجز عن النار •

وهذه المهمة تقتضى تربية ذات أصول خاصة ، وتشكيلا معينا .

ولقد اهتم القرآن الكريم بهذه التربية ، ووضع لها مناهج ، وقواعد راعى فيها الأسس النفسية ، ورصد مشاكل التطبيق ، وعقبات الطريق (١) .

وآيتنا « ولتكن منكم أمة » تدور مع غيرها فى مدار تربية الدعاة مبينة الرسالة (٢) والوسينة (٣) ، محددة الشكل (٤) ، راسمة الهدف (٥) .

والأمر كما رأينا متوجه الى الأمة التى استجمعت الأرواح العلوية الزكية كى تستخلص من بينها طوائف متميزة تتوقد فيها خصائص الأمة ، وتروح تنشد التى هى أحسن ، وتتحايل فى كياسة ودهاء كلما ضيق عليها الخناق .

والأمر — كما بينا — يفيد الوجوب . وكل فرد مطالب بالحركة المحدودة فى نطاقه المتاح « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ... » الا أن الجماعة بحكم هذه الآية تحمل كبر التبعة فى مضمار الدعوة . عليها أن تعد فصائل الدعوة وتحميها ، وتبسط أمامها مجالات الحركة الواعية الهادفة . ذلك فرض . وتحرك فصائل الدعوة مؤتلفين متفاهمين فرض كذلك . وانفراد آحاد بلا عتد ينتظمهم تفريط واستغراق الجميع فى قضايا الدعوة افراط ، وكلا الأمرين — من الافراط والتفريط — مرفوض بحكم كوننا أمة وسطا .

وائتلاف الدعاة تحتمه طبيعة الطريق . فالداعية — لا شك — مصطدم بالأهواء والشهوات والنزوات ، والكبر الغاشم ، والغرور

---

١ — لنا ان شاء الله حديث عن الاسس النفسية فى الدعوة الى الله
٢ — الدعوة الى الله .
٣ — الامر بالمعروف والنهى عن المنكر .
٤ — الأمة .
٥ — خير الدارين .

الأعمى • فلا بد أن يحسب حساب هذه القوى الكأداء ، وأن يعد لهم ما استطاع من مرونة ، ورفق ، وصبر ، وحسن عرض وقوة حجة ، ونصاعة منطق ، ومكر جميل •

والتشكل فى أمة ذات قدرات ، وتخصصات متعددة ، وامكانات متكاملة يتيح للدعاة فرص الدرس والتمحيص ، والتحليل ، وتقويم حقل الدعوة تقويما يبنى على أصول علمية نفسية واجتماعية ، مادية ومعنوية •

وفصائل الدعوة — كأصلها الذى استخلصت منه — تتدرع بالايمان والتقوى وتتحصن بأخوة عالية المدى تتعدى نطاق الداعين الى محيط المدعوين •

فعلى قواعد الايمان والتقوى ، وأجنحة الأخوة الحانية تعلو الأمة وتملأ الآفاق وتبزغ فى كيان واحد قوامه منهج الله ذى القوة والقدرة والسلطان •

والدعوة الى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر قضايا وعرة المسالك ولا سيما فى جيلنا الذى يختنق بالضغوط ، والغزو الفكرى ، ويفتن ، ويخدع بأساليب التمييع والتغرير • وتحشد له أقلام الشياطين ، وأبالسة الاعلام يدلسون ، ويلبسون ، ويزينون ، ويخدرون ويمكرون الليل والنهار مصداق آية سبأ (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين • وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا •• » •

ومكر الليل والنهار هو ما يمارسه شياطين الاعلام فى الداخل والخارج وطريق الدعوة ملىء بأشواكهم ، حافل بمزالقهم ، محفوف بشرورهم • فما أحرى الداعية أن يكون رادارى الحواس ، شديد القوى ، سديد الخطا ، صادق الكر ، خاطف الفر •

بخارى أحمد عبده

بَابُ السُّنَّة

يقدمه

فضيلة الشيخ محمد على عبد الرحيم

الرئيس العام للجماعة

تبادل المحبة بين الراعى والرعية والحاكم والمحكوم
دليـــل على رشاد الأمة

عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال : قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم : « خيار أئمتكم الذين تحبونهـــم ويحبونكم ، وتصلونهم ويصلونكم • وشرار أئمتكـــم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم » رواه مسلم•

تعـــريف بالراوى

عبد الرحمن بن عوف هو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحـــد الستة الذين توفى النبى صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض • ولذا كان من أهل الشورى ، الذين أوصى عمر بأن يكون الخليفة من بعده واحدا منهم ، وهو من السابقين الأولين فى الاسلام وهاجر الهجرتين (الحبشة والمدينة) وشهد بدرا وسائر المشاهد مع رسول الله صـــلى الله عليه وسلم • وكان اسمه فى الجاهلية (عبد الكعبة) فغيره النبى صلى الله عليه وسلم • ومن مآثره انه حرم الخمر فى الجاهلية • هاجـــر وأشتغل بالتجارة فنجح نجاحا باهرا •

وفى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدق بشـــطر ماله (أى النصف) ثم تصدق بأربعين ألف دينار ، ويروى البخارى ومسلم أن عمر رجع من (سرغ) ولم يدخل بقية الشام من أجل الطـــاعون لحديث عبد الرحمن بن عوف « اذا ظهر الوباء بأرض فلا تدخلوها ، وان كنتم بها فلا تخرجوا منها » وذكر البخارى أن عبد الرحمن بن عوف أوصى بأربعمائة دينار لكل من شهد بدرا وكانوا حينذاك مائة رجل • مات عن اثنتين وسبعين سنة ودفن بالبقيع • وصلى عليه عثمان بن عفان والزبير بن العـــوام •

المفـــردات

خيار أئمتكم = أكثرهم خيرا وعدلا ودينا وخلقا • والأئمة هم الحكام ومن فى حكمهم من الرؤساء والمدراء •

تصـــلونهم = بالسمع والطاعة فى معروف ، والنصح لهم •

يصـــــلونكم = بالعدل والرحمة ، ويحيطـــون رعيتهم أو مرءوســـــيهم بعنايتهم •

تبغضونهم = تكرهونهـــم •

تلعنـــونهم = تدعون عليهم باللعنة وهى الطرد من رحمة الله •

المعـــنى

من القواعد التى وضعها الاسلام لتكون الأمة صالحة رشيدة ، أن يستتب فيها الامن فى ظل العدل الذى تطمئن اليه النفوس ، ويأنس اليه الضعيف ، ويسكن اليه البرىء •

واذا تبودلت المحبة بين الحاكم والمحكوم ، والرئيس والمرءوس•• ترتب على هذه المحبة خير عظيم • اذ تجتمع القلوب على ما ينفع الأمة، ويبعد عنها أسباب تمزق الوحدة •

وفى هذه الحالة يجب على كل من الحاكم والمحكوم واجبات لا ينبغى التفريط فيها ، فهو عليه أن يسوى بينهم فى الحقوق والواجبات، لا يجدى لديه التملق ولا النفاق ، ولا يروج فى سوقه الرياء والمداهنة•

والمحكومون عليهم السمع والطاعة فى معروف ، والنصح لمن ولاه الله عليهم ، كما جاء فى الحديث الشريف « ان الله يرضى لكم ثلاثا : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله عليكم » وأن يكونوا له أعوانا مخلصين .

واذا حصلت الكراهية بين الراعى والرعية .. انقسمت الأمة أحزابا ، وتفرقت شيعا ، وساد فيها الحسد والحقد والغش وكل رذيلة تؤدى الى الاختلاف والتفرق .

وولى الأمة اذا كان ذا خير أحب رعيته وأحبوه ، واذا كان غير ذلك أبغض رعيته وأبغضوه . وهذا ما يعنيه الرسول الكريم بقوله: خيار أئمتكم .. الحديث .

ومن عوامل محبة الرعية لولى الأمر أن يعنى باختيار أعوانه وبطانته من ذوى الكفاية والصلاح والدين والخبرة ، ليستعين بهم بعد الله على تمحيص الأمور وفهم الحقائق ، فيكونوا خير مساعد له على تدبير الشئون . ولذلك نهى الشارع عن اتخاذ بطانة السوء، وحث على اجتنابها بقوله تعالى « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ، ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم، وما تخفى صدورهم أكبر ، قد بينا لكم ان كنتم تعقلون » ١١٨ آل عمران .

واذا اتصف الوالى بالعدالة وجب على رعيته ألا يخرجوا عن طاعته ، ففى الحديث « من خرج من أمير شبرا مات ميتة جاهلية » .

والبطانة الصالحة للراعى هم الأعوان المخلصون ، فهم قوة يعتد بها ، وبهم يشتد أزره ، ويعظم نصره ، ويقوى حكمه لاخلاصهم فى خدمة أمتهم . عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ولى منكم عملا فاراد الله به خيرا ، جعل له وزيرا صالحا ان نسى ذكره ، وان ذكر أعانه » وبهم يكون الوالى حذرا من الوقوع فى الخطأ ، فهم باخلاصهم يأخذون بيده الى حيث السلامة والنجاة .

ومن آثار محبة الرعية لراعيها انصراف الناس الى ما فيه رقيهم بسبب توفير أسباب اليسر ، فيه تنشط النفوس فى مختلف أحوالها ، ويقل فى الناس الحسد ، وينتفى عنهم تباغض الفقر ، وبذا يكثر التواصل والمواساة ، وتفشو الأمانة ، ولا يتسنى لمصلح أن يتم اصلاحه فى أمة الا اذا وفر لها أسباب الحياة الكريمة ، ودرأ عنها دواعى الضيق •

ومن دلائل المحبة بين الحكام والمحكومين أن يعامل بعضهم بعضا كما يتعامل أفراد الأسرة الواحدة • فالمحبة سبيل الى الخير كله ، وتقضى أن يحمى قويهم ضعيفهم ، وأن يعطف غنيهم على فقيرهم ، وأن يرحم كبيرهم صغيرهم •

واذا ما قامت العلاقة بين الراعى والرعية على المحبة •• حرص كل منهم على مصلحة الآخر • ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أسوة حسنة • فقد كان الخلفاء الراشدون خير قدوة للأمة، يقبلون النقد ، ويفتحون صدورهم للمشورة • ومن ثم قال أبو بكر فى خطبته التى خطبها بعد البيعة « ان أحسنت فأعينونى ، وان أسأت فقومونى ، أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فاذا عصيته فلا طاعة لى عليكم » •

وقال عمر فى خطبته بعد توليته « ان رأيتم فى (بتشديد الياء) اعوجاجا فقومونى » فقال له أعرابى « والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » •

وكان عثمان يقول « ان وجدتم فى كتاب الله أن تضعوا رجلى فى القيد فضعوا رجلى فى القيد » •

وقال على بن أبى طالب فى أول خطبة بعد الخلافة « ان هذا أمركم ليس لأحد فيه حق الا من أمرتم (بتشديد الميم فعل مضعف) ألا انه ليس لى أمر دونكم » •

وخير للأمة أن يتعاون الحاكم والمحكوم على جلب الخير ودفع الضرر • فاذا صلح الحاكم وفسد المحكوم ، أو صلح المحكوم وفسد الحاكم كانت العواقب وخيمة والعياذ بالله •

محمد على عبد الرحيم

ابن تيمية يعتب على مصر

بقلم علي عبيد

فى الفترة الأخيرة وبعد حادث مقتل الرئيس السادات ، اشتدت أقلام بعض الكتاب والصحفيين تلقى باللائمة على قراءات الشباب المتدين . وأن كتبا معينة هى التى تدفعهم الى الجريمة تبدأ بالتطرف وتمر بالانحراف والشذوذ وتنتهى بالجريمة ، وحين تعدد الصحف أو الأقلام المعنية هذه الكتب التى تؤثر هذا التأثير فى الشباب ، نجد فى مقدمتها، صحيح البخارى وصحيح مسلم وتفسير ابن كثير وكتب ابن تيمية وغيرها .. وأصبح العثور على هذه الكتب فى حوزة أحد الشباب كاف لاتهام الشباب بالانحراف ، أى أن هذه الكتب أصبحت من جهة النظر الأمنية كالمخدرات ، ولا حول ولا قوة الا بالله .. !

وبعد وقت من الضجة الثائرة ، تمخض الجدل عن حصر الخطورة فى عدد أقل من محظورات الكتب ، أهمها مؤلفات ابن تيمية ، ووجوب مواجهتها وحماية الشباب منها ، وكأنما شاءت ارادة الله له أن يبتلى فى مماته أكثر مما ابتلى فى حياته ، غير أن وجود البلاء آية بينة على صدق صاحبه وايمانه ، وقد صح فى الحديث : « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل .. » .. !

بيد أن لسيرة ابن تيمية وفكره بمصر ، أمر يثير الدهشة ، اذ ان محاكمته كانت بمصر ، وسجنه كان بمصر ، وحوكم بها أكثر من مرة، وسجن بها أكثر من مرة ، وهو لم يكن من مصر ، وانما كان من حران، وهاجرت أسرته قديما الى دمشق بالشام خوفا من هجمات التتار، وقديما كان حاكم مصر يحكم الشام فى وقت واحد ، ومنذ مات ابن تيمية

والى عصرنا هذا ما زالت فى نفوس عوام المصريين نحو ابن تيمية الذى لا يعرفونه ولا يعرفون حقيقة علمه ، شىء وأشياء منطبعة فى وجدانهم، تنطوى على الكراهية والتقزز لما أشيع عنه ظلما ، أنه يكره الأولياء، وآل البيت ، ويعتدى على منازل الصوفية ومقاماتهم ، ويقلل من شأن الأئمة الأربعة ، ويشبه رب العزة بعباده وغير ذلك مما علق فى أذهان الناس عنه ، دون بحث ودراسة ، والمعروف أن الشعب المصرى تملكه عواطفه ويتأثر بشدة اذا هوجمت عاداته الموروثة .. !

• المعروف أن مصر حينما أقام الفاطميون على ربوعها سلطانهم ، انشئوا بها كثيرا من القباب والاضرحة ، وسنوا بها كثيرا من المبتدعات والأضاليل ، بل وبعثوا وحبذوا كثيرا من عادات المصريين قبل الاسلام، وشاركوهم أعيادهم ، فنمت وترعرعت فى كنف دولتهم مئات بل آلاف الأفكار والمفاهيم البعيدة عن الاسلام بل التى تهدم الاسلام هدما ، من دعاء الموتى والاحتفال بالقبور واقامة الموالد والمواسم وتوزيعها على مدار السنة ، فضلا عن الاحتفال بأعياد المصريين القدماء وطقوسهم وغير ذلك • وحينما دالت دولتهم ، وكان مذهبها السائد هو المذهب الشيعى الباطنى ، وغلبهم بنو أيوب على حكم مصر ، تغير المذهب الرسمى للدولة الى مذاهب أهل السنة ، ولكن لم يكن هناك من الوقت ما يكفى لتنقية المفاهيم الاسلامية من اضافات الفاطميين الشيعية والباطنية البعيدة عن الاسلام ، رغم النهضة العلمية التى قامت ، وعودة المدارس المتخصصة ، فى الحديث والفقه والتفسير وغير ذلك ، وذلك لشغل الدولة عامة فى الحروب الصليبية ، الى أن نشأت الدولة المملوكية واستولت على مقاليد الامور فى مصر بعد قتل طوران شاه ، وزواج أيبك من شجرة الدر ، وشغلت الدولة أول أمرها بصد هجمات التتار، التى كانت قد وصلت الى بغداد واقتربت من الشام ، وفى هذه الأثناء نشأ ابن تيمية ..

ان المستقرىء لحيثيات الوقائع التاريخية ، يرى وبصدق ، أن الذى انتصر على الصليبيين هو الاسلام ، حين عاد فامتلك أفئدة

المسلمين ، وكان المسلمون هم المهزومون أمام أولئك الصليبيين حينما تخلوا عن اسلامهم وعقائدهم ، وكذلك الذى انتصر على التتار هو الاسلام وعقيدته التى زهت وشمخت وثأرت لدماء المسلمين فى بلاد المشرق قاطبة ، تلك التى سفحها المغول وخاضت فيها حوافر الخيول المغولية ، حين غفلت عن دينها وشغلتها دنياها وأظلمت بصيرتها .. !

والمستقرىء للتاريخ أيضا يرى أنه كى تتيقظ المشاعر الدينية ويحمى الوازع الدينى ، وتصحو العقيدة وتتقد ، لا بد أن تحدث هزة عنيفة تقوم بازاحة الغفلة والبلادة التى تكون قد استحكمت طوال فترة من الزمان كبيرة ، فغزو التتار للشرق العربى ودخولهم بغداد حاضرة الخلافة العباسية وقتلهم للخليفة وقاضى قضاته وعلمائه وأعلام الأمة وقتها ، وتخريب وتجريد كل بلد اسلامى يمرون عليه ، من رجاله وشبابه وخيراته ، كان هو الباعث الاكبر لعودة الناس الى دينهم وعقيدتهم يلتمسون فيه النصر والانقاذ ، والعودة الى الدين هى فى نفس الوقت عودة الى قضاياه المثارة ، وصحوة لكل فرقة من الفرق المنتسبة اليه ، وهذا ما حدث ابان نشأة ابن تيمية رضى الله عنه .. !

وكأنما كانت هذه الفترة من تاريخ المنطقة وما صاحبها من قلق وخوف وأسى ، هى فترة المخاض التى ولد فيها ابن تيمية ، نعم .. فى هذه الآونة من تاريخ المنطقة بزغ نجم المجدد الأصيل ابن تيمية ، ليجدد شباب المنطقة ويصحح مسارها الدينى ، فلم يكد يبلغ التاسعة عشرة من عمره حتى أفتى ودون فى الدين ، وأخذ وهو فى الحادية والعشرين يفسر القرآن أيام الجمع من حفظه ، واتجه الى الحديث فسمع وروى ونقد ، حتى لقد قيل بحق : الحديث الذى لم يعرفه ابن تيمية ليس بحديث .. !

ولم يكتف ابن تيمية بالعلوم النقلية وانما انتقل الى العلوم العقلية ، ودخل محصنا بكل الركائز الاسلامية الصحيحة الى ساحتها وجاس خلالها دون أن تؤثر فيه ، أو تفسد ذوقه الاسلامى ، فكان أول

من وضع المعايير المنطقية الصحيحة اسلاميا ، ورد ما كان مجافيا للفكر الاسلامى من فلسفة اليونان ، وخطأ كل من تكلم فى الفلسفة من المسلمين من قبل واستخدم قواعد اليونان حتى الغزالى ، لأنه فى نظره استخدم الخلط واللبس ودخل الفلسفة فلم يسلم من أوضارها برغم هجومه عليها وتأليفه كتاب « تهافت الفلاسفة » ، ويستطيع الباحث المنصف استخلاص رأى ابن تيمية فى المذاهب الفلسفية ورده الاسلامى على المنطق فى كتابه « الرد على المنطقيين » ومجموعة الفتاوى الكبرى والرسائل الكبرى أيضا •

وما كان ابن تيمية الذى اثرى الفكر الاسلامى ، ونزع عنه مزق الفلسفات الدخيلة ، رجل فكر بحت ، أو رجلا نظريا أو أكاديميا حسب اصطلاحات العصريين ، أو كما يشاع الآن كثيرا ، عن بعض متسولى الأفكار ، أنهم رهبان فكر ، وانما كان ابن تيمية رجلا اجتماعيا من الطراز الأول ، لا ينفض عنه طلابه وأهله وعارفوه ، فقد جاس خلال الناس بفكره وعقله وكسب ودهم وأثر فيهم فآمنوا به ورأوا فيه صدق دعوته ، بل كان مثلا صادقا لما يؤمن به ، اذ ثبت معهم فى المخاطر وثبتهم وحمل معهم السلاح وخاض المعارك ، بينما هرب غيره من العلماء كثيرى التشدق والطنطنة • وكان ميدان القتال أصدق شاهد للناس على صحة عقيدته •• !

وبمثل ما حمل ابن تيمية السلاح لقتال التتار ، حمل القلم لمجادلة فرق الشيعة والمعتزلة والرافضة والمعطلة والملاحدة ، وكل من حرف أو بدل أو ابتدع فى الاسلام وزاد فيه ما ليس منه سواء كان فعلا أو فكرا ، وكان ابن تيمية فى جميع معاركه لا يهادن ولا يهون ولا يخشى فى الله لومة لائم ، وكان حاضر الحجة ناصع البرهان ، فلا جرم يكثر شانئوه ، ويكيد له خصومه وحاسدوه من العلماء ، وبخاصة هواة الأضواء ومنافقو السلطان •• !

لقد عقدت له مجالس ومناظرات عدة بالشام ، لكنها انتهت بانتصار حجة ابن تيمية واقرار رأيه وتقدير برهانه ، لكن ثائرة العلماء لم تهدأ ، ولا سيما فى مصر ، لقد أرادوا له الانزواء و الخفوت ، لكنه كان يملك عزيمة لاتهون ، فطلبوا من حاكم مصر استدعاءه للمناظرة فى مصر ، لخطره على الدين • ونصحه المخلصون له فى الشام ألا يذهب الى مصر ، لكنه أبى وحضر الى مصر ، ودعى الى مجلس المناظرة أو المحاكمة ، فوجد أن الذى يحاكمه هو نفسه الذى يخاصمه ، فأبدى احتجاجه على ذلك قائلا : كيف تحكم فى وأنت خصمى ، فلم يقبل منه الاحتجاج ، ولم يعط الفرصة لتقديم حجته ، ولم يمهل حتى لمجرد تفصيل القضية ، وقوبل بمهنتى العجرفة والاجحاف ، ووجد الشرطة فى انتظاره أصلا لنقله الى السجن بالقلعة بمصر ومعه أخواه ، وكان ذلك فى عهد الأمير المملوكى سلار ، وبعد أن مر عليه سجينا مدة عام تحرك ضمير الأمير عليه ، فأشار على القضاة بخروجه ، فأرسلوا اليه أن يعلن نزوله عن آرائه حتى يخرج من سجنه ، فرفض هذه المساومة، وتكرر هذا الطلب ست مرات وهو يرفض ، وبقى فى سجنه وانصرفوا عنه غير مأجورين ، ومكث بعدها ستة شهور حتى أتى أمير عربى يدعى عيسى بن مهنا بنفسه الى السجن وأقسم على الشيخ ليخرجن معه ، بعد أن وافق الأمير سلار حاكم مصر ، غير أن ابن تيمية شرط عليه أن تتم مناظرة القضاة مناظرة حاكمة ، فوافق على ذلك ، وأرسلوا فى دعوة القضاة الذين حكموا عليه بالسجن ، فاعتذروا عن حضور المجلس بأعذار شتى حتى لم يحضر منهم أحد ، وما كان ذلك ليتم لو كانوا مقرين عن اقتناع بادانة فكر ابن تيمية ، ولكنه الحسد ولا حول ولا قوة الا بالله •• !

وأفرج عن ابن تيمية وأصبح حرا مختارا فى البقاء بمصر أو الذهاب الى الشام ، ففضل البقاء بمصر ، لأنه لاحظ رواج الفلسفة الصوفية المتوشحة بوشاح الاسلام ، وهى تهدم عقائده السمحة ،

كفلسفة وحدة الوجود ، أو دعوة الحلول والاتحاد ، أو دعوة الفيض الصوفى والحقيقة المحمدية ، ووجد لهؤلاء الصوفية سطوة كبرى لدى الحكام على الدعوة والدعاة ، وكان منطقيا أن يعلن ابن تيمية رأيه مفصلا فى تلك المعتقدات ، فشكاه زعيم الصوفية فى ذلك الوقت ، ابن عطاء الله السكندرى الى الحاكم ، فأمر الحاكم بعقد مجلس بدار العدل فانتصر ابن تيمية نصرا مؤزرا فى هذا المجلس ، لكن هذا النصر أثار حنق الصوفية وبغضهم له ، فبحثوا فى فتاويه عما يثير الناس عليه ، ووجدوا ذلك فى فتوى نشرها بأنه لا يجوز الاستغاثة بمخلوق حتى لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعقد لذلك مجلس آخر ، سئل فيه عن قوله ، فأبانه بما يليق بعقيدة الاسلام ، فقال أحد العلماء الجالسين : ان هذا ليس فيه شىء .. ، فرد ابن عطاء الله السكندرى ثائرا : ان هذا قلة أدب .. ، ولم يستطع أن يقول ان هذا كفر ، لأنه هدم معتقدا صوفيا يتوارثه الصوفية المتفلسفة ، بيد أن المسألة عند المناظرة مسألة دليل وبرهان ، فينتصر ابن تيمية مرة أخرى ، وزادت أحقادهم عليه أكثر ، واشتعلت نار أكبادهم ، ودسائس علمائهم ، وازاء هذه الضجة خير ابن تيمية بين ثلاث ، البقاء فى مصر بلا دعوة ، أو الخروج الى الشام بلا دعوة أيضا ، أو الحبس فى سجن القلعة ، فاختار السجن ، وما لبث أن قرر مجلس الفقهاء والقضاة الذى عقد بالصالحية خروجه من السجن ، وخرج ابن تيمية من السجن عزيزا كريما ..

وشاءت ارادة الله أن يتولى أمر البلاد الملك بيبرس الجاشنكير ، وكان تلميذا للشيخ نصر المنجى وهو من اتباع مذهب ابن عربى المتعصبين ، فدبر الشيخ والحاكم نفى ابن تيمية الى الاسكندرية ، فنفى اليها حتى عاد السلطان الناصر بن قلاوون الى حكم مصر ، فعاد ابن تيمية الى القاهرة واستقر به المقام بجوار مشهد الامام الحسين ، يعظ ويعلم ويعلن آراءه وفتاويه ، وطلب منه السلطان الناصر أن يحكم فى الواشين به من العلماء الطالمين له ، ولكنه أبى وقال كلمته : انك اذا

قتلت هؤلاء لا تجـــد بعـــدهم مثلهم ، انهم ملح مملكتك ، وما زال بـــه حتى عفـــا عنهـــم .

وتعرض الشيخ أثناء اقامته فى الحسينية للاعتداء من العـــوام وبعض الصوفية ، فامتدت اليه أيدى البعض بالضرب ، فتجمع أهالى الحسينية ليثأروا له فردهم ، فألحوا عليه ، فقال لهم : « أما أن يكـــون الحق لى أولكم أو لله ، فان كان لى فهم فى حل منه ، وان كان لكـــم فان لم تسمعوا منى ولم تستفتونى فافعلوا ما شـــئتم ، وأن كان الحق لله فالله يأخذ حقه ان شاء » وحضر أثناء ذلك وقت صلاة العصر ، فذهب ائها ومن ورائه جمع غفير ، وبانتهاء الصلاة انتهى الموقف ولم يسمح باعادته .. !

وظل ابن تيمية يلقى تعاليمه فى مصر ، وهيأت صلته بالحاكم أن يستشار فى الأمور الشرعية وتطبيق أحـــكام الشريعـــة حتى عاد الى الشام .. وأثناء اقامته بالشـــام ولرؤيته مشاكل النـــاس عن قرب ، واحتكاكه الاصلاحى بالمجتمع ، رأى أن مسألة الطلاق تجرى على غير وجهها ، ومذاهب الأئمة فيها ، وأن هناك أشياء غابت عن العلماء ، بشأن طلاق المكره والسكران ، والطلاق البدعى والطلاق الذى يعتد به شرعا ، والحلف بالطلاق ، فكان لذلك دويا هائلا فى الأوساط العلمية ، وضـــج اتباع المذاهب بالشكوى منه ، واعتبر السلطان ذلك عصيانا له ، لانه كـــان أمره بعدم اثارة الناس ، ولكنها الدعوة ووجوبها على العالم ، فمن ثم لا يملك ابن تيمية صبرا عن اذاعة ما يصل اليه ، فعقدت له مجـــالس محاكمة أخرى لا لمناقشة القضية ، وانما لاثبات عصيانه للســـلطان ، وسجن فى قلعة دمشق ، ثم أفرج عنه ، لكنه عاد مرة أخرى الى سجن القلعة ومعه فى هذه المرة تلميذه ابن القيم ، وكان سبب سجنه أنه أفتى بعدم جواز شد الرحال الى قبور الأولياء ، وكيفية الزيارة الشرعية ، وزيارة قبر الرسول ، وأنه صلى الله عليه وسلم لا يدعى ولا يســـأل ولا يستغاث به وهذه الفتوى ألبت عليه كوامن حاسديه ، وأثارت ثائرة

أشباه العلماء حتى سجن سجنا انفراديا ومنعت عنه الكتب والأحبار ومكث خمسة أشهر حتى انتقل الى جوار ربه !! .

من هذا التاريخ الموجز لهذا الامام المجدد ، نتعرف على رواسب البغضاء التى يحملها عوام الشعب المصرى منذ زمن طويل ونعلم دوافعها وزاد على هذه الدوافع موقف الشعب المصرى من دعوة محمد بن عبد الوهاب بالجزيرة العربية ، فاذا كان الامام ابن تيمية قد مات منذ ما يقرب من سبعمائة عام ، فان الغضاضة فى نفوس المصريين منه قد بقيت ، وساعد على بقائها الضعف والأمية الدينية وسطوة السلطة على الدعاة ، فان الدولة المملوكية قد ضعفت وتأخرت وتفشى فيها الجهل والخرافات ، وشغل الأمراء بالزينة والنساء وفنون الرفاهية ، ومن جهة أخرى تزعمت الصوفية ونشرت خيوط سلطانها على الامراء والوجهاء وحكيت الأقاصيص والأوهام ، ومن يرد الاحاطة الكاملة بأسلوب الصوفية فى هذه الآونة ومسارها ، فعليه بقراءة كتاب « الطبقات الكبرى » للشعرانى ، وسيعلم لماذا عقب الشعرانى وراء كل قصة وحكاية من حكاياته عن (الأولياء) بكلمته « والعاقل من عرف زمانه ».

ولانتشار الجهل والاستخفاف بالعقول واحاطة الدين بالغموض والأسرار والطلاسم ، قامت الفتن والقلاقل فى كل موقع ، حتى بعد هزيمة الدولة المملوكة وانتصار العثمانيين ، ظلت الخرافات هى السائدة وظلام العقول هو الحاكم ، وراجت سوق الصوفية الخرافية هذه المرة فى الآستانة نفسها ، وظهرت دعوة محمد بن عبد الوهاب فى الجزيرة ، وبعد دخول الأمير محمد بن سعود فيها وبسط نفوذها على الحجاز ، وهزيمتها لجيوش السلطان ، مما جعله يستغيث بمحمد على والى مصر ، فتلتقى الفكرة مع أطماعه وطموحاته ، فيرسل اليها حملة برئاسة أحد أبنائه ويدعى طوسون فتهزم هزيمة منكرة ، فيعلم محمد على أن الأمر ليس ميسرا لاستيلائه على الحجاز وهزيمة (الوهابيين) ، فيعد للأمر عدته ، ويعبىء مشاعر المصريين ضد (الوهابيين) ، ويعلنها حربا دينية اسلامية ضد الوهابيين أعداء النبى ، وأعداء آل البيت والكلرهين

للأولياء ، ومن يهدمون القباب ، وينشرون فكر الخوارج والفرق الضالة، وأخذ يغذى وجدان الناس ومشاعرهم بكل ما يحملهم على كراهية (الوهابيين) والعمل على استئصال شأفتهم بحجة استنقاذ قبر النبى من أيديهم ، وعرف وقتها أن ابن عبد الوهاب ، حنبلى المذهب تتلمذ على رسائل الامام ابن تيمية فتجددت كراهية الناس لابن تيمية ، ولولا هذه الروح التى بعثها محمد على فى وجدان المصريين ، ما انتصر على الوهابيين وضم الجزيرة الى أملاكه ، ومضت السنون على هذه الروح، تفتقد العالم الدارس الواعى الشجاع ، الذى يملك الافصاح عن حقيقة دعوة ابن عبد الوهاب ، أو ابن تيمية وابن القيم ، حتى جاء الشيخ محمد عبده ، وأخذ يلقى دروسه فى صحن الجامع الأزهر واشتم الناس من دعوته تفهمه لدعوة ابن تيمية ، وألقيت فى سبيله الأشواك والغبار ونفى أكثر من مرة ، غير أنه مضى فيه دون هوادة ، وخلص العقول من براثن الجهل والخرافات ، ولكن ما زالت الى يومنا هذا بعضا من كراهية العوام من الصوفية والسذج فى نفوس الناس ، رغم ما قامت به بعض الهيئات والجمعيات من ازالة بعض الغبار عن شخصيته الفذة فى التاريخ الاسلامى ، حتى ليظنه بعض الناس مقابلا للصوفية أو حب آل البيت أو الاعتراف بالكرامات للأولياء .. !

وأصبحت أرى وأقرأ اليوم من لا يفرق بين ابن تيمية والخوارج، ومنهم وزير أوقاف سابق يحمل اجازة الدكتوراة ، يعود ببواعث انحراف الشباب الى كتب ابن تيمية والخوارج ، ويكتب وزير آخر للدولة اكتشف فى نفسه القدرة على الكتابة فى الدين ، فى جريدة حزبية أن وراء انحراف الشباب قراءة كتب ابن تيمية ، وهو شاذ ومتطرف ، ومن شذوذه تأليفه كتاب « السياسة الشرعية » ومن تطرفه فتواه بقتل تارك الصلاة ، وشاء الله سبحانه أن يكتب شيخ الأزهر فى نفس العدد من الجريدة تصريحا أن الاسلام حوى القواعد الشرعية للحكم والسياسة ، وعلى من يطلب مزيد ايضاح أن يقرأ كتاب « السياسة الشرعية لابن تيمية » فهو من الكتب الجامعة ، فقلت سبحان الله ، ما كان أجدر السيد الوزير أن يقرأ

فى كتب الفقه قبل أن يصم اماما ثبتا وحجة بالشذوذ • أما مسألة فتواه بقتل تارك الصلاة ، فليس هناك كتاب فقه لم يرد به هذا الحكم ، وأعتقد أن فقه الشافعية مذهب السيد الوزير يتضمن هذه المسألة ، وأعتقد أيضا أنه يمنعه الحياء من وصف الامام الشافعى بالتطرف والشذوذ ..!

وحين ضبطت قوات الأمن ما سمى بكتاب « الفريضة الغائبة » الذى اعتبروه دستورا لجماعة اغتيال الرئيس السادات ، وطلبت المحكمة رأى المفتى فى الكتاب من الوجهة الشرعية ، ونشرت جريدة الأحرار نصوص الكتاب كاملة ، ثم نشرت الصحف القومية رد المفتى على الكتاب ، ووفق المفتى فى تفنيد حجج الكتاب ، وتفصيل قضاياه ، وأحسن الرد عليه ، وأنصف ابن تيمية انصافا يليق بأمانة العلماء ، وبين أن واضع الكتاب أساء الفهم وأخطأ فى القياس وتكلم وأفتى بغير علم ، صنع ذلك المفتى حين طلبت منه المحكمة أن يصنع احقاقا للحق ، لكنه أغضب الكثيرين ، وعجبت عجبا شديدا أن يكون من بين الغاضبين الأستاذ أنيس منصور ، الذى أدان نشر نصوص الكتاب ، وأدان الرد عليه ، وحمل على ابن تيمية حملة شعواء ، ولم أفهم لماذا ، ولا أعلم لماذا وصف ابن تيمية بأنه رجل بلا قلب ، ولماذا ذكر أن قراءة فتاوى ابن تيمية هى أول سلالم الانحراف ، وكنا نود من الأستاذ أنيس أن يفند قضاياه هو بنفسه ولا يلقى القول جزافا هكذا ، وما الذى يجده فى هذه المؤلفات يدعو الى الانحراف ؟ والانحراف عن أى شىء ؟ حتى يكون شبابنا على حذر دائم من الانحراف كقضايا وليس كمؤلفات، فقد يأتى مؤلفون آخرون ينقلون هذه القضايا فليس بالحتم ابن تيمية هو الذى يقرأ فقط فيؤدى الى الانحراف ، وأعتقد أن الأستاذ أنيس قد طوف كثيرا وقرأ كثيرا ولكنه لم ينحرف ، فكيف نتناقل الاتهامات من أفواه الناس ، ونحسبه هينا وهو عند الله عظيم •

رحم الله السابقين من أعلام الاسلام ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ..

على عيد

تحت راية التوحيد

بقلم فضيلة الشيخ عبد اللطيف محمد بدر

— ٣٩ —

دعا الكاتب — الذى أشرت اليه فى المقال السابق — المطالبين بتحقيق منهج الله وتطبيق شريعته الى الحوار القائم على كسب العقول والقلوب ، وتمنيت لو تم ذلك فلا يصم المانعين أو المماطلين آذانهم دون أن يستمعوا الى حجج المطالبين اذا لعلت كلمة الله ، فحجة الله ولا شك هى الغالبة وحجتهم داحضة .

● نعم ليت الكاتب وأمثاله ممن يشككون فى أمكان ذلك فى هـــذا الزمان ، يؤمنون بالحوار الهادف والمنطق العادل والحجة البينة القائمة على الفهم السليم لما فى كتاب الله تعالى وسنة رســوله صلى الله عليه وسلم من أحكام عادلة ومبادىء سامية . ولا ينفر من ذلك الا رجل مفتون أو مغرور أو انسان له مقاصد فاسدة ، وأغراض سيئة.

● على أن الأمر أولا وآخرا يتعلق بصحة العقيدة . فاذا آمن المسلم بأن الأمر والحكم لله وحده ، والتشريع والتقنين منه وحده، ولا يجوز أن يكون شىء من ذلك لأحد من خلق الله الا بمقدار مايستنبط من الكتاب والسنة ، ويطبق ما يستنبطه على نفسه وفى المجتمع الذى يعيش فيه ، كما يؤمن بأن العبادة لله وحده ، ولا يجوز أن يصرف منها شيئا لغيره سواء بسواء ، ولا فرق بين الحكم والعبادة فكلاهما لله وحده (ان الحكم الا لله أمر أن لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) الآية ٤٠ — يوسف .

● ان الذى وضع المنهاج لعباده ووضع الشرع لحكمهم هو الله ، والله وحده (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) الآية ٤٨ــالمائدة ــ وقد قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) الآية ١٨ ــالجاثية. فالله هو الذى شرع له كما شرع لمن قبله من المؤمنين والمرسلين . قال تعالى : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه) الآية ١٣ ــ الشورى .

ولم يجعل الله لأحــد خيارا فى قبول أو عدم قبول ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه . قال تعالى : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) الآية ٣٦ ــ الأحزاب. وقال تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) الآية ٦٥ ــ النساء .

● فليت قومى يعلمون بما ادخره الله لهــم فى منهاجه وشرعه من خير وسعادة فى الدنيا ، وفوز ونجاة يوم الدين (يوم لاينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) الآية ٨٨ ، ٨٩ ــالشعراء.

وليتهم يحذرون ما توعدهم به الله ان هم أقاموا الشعائر ، وتركوا الشرائع ، من خزى فى الدنيا وعذاب فى الآخرة . فهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعضه . والله تعالى يقول : (أفتؤمنــون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) الآية ٨٥ ــ البقرة .

● ولا ينبغى لعاقل منصف اذا تناول بالتحليل موضوعا من الموضوعات أن يركز على السلبيات ويتغاضى عن الايجابيات التى ما تزال آثارها ــ بالنسبة للاسلام ومنهجه ــ واضحة للعيان فى العالم الاسلامى على اتساعه ، رغم ما تعرض له من مؤامرات ، وما وقع فيه من حروب مدمرة أجلب عليه فيها الأعداء بكل ما أوتوا من قوة ، وخاصة بعد أن عملوا على اسقاط الخلافة الاسلامية التى كانت واسطة عقد المسلمين على ماكانت عليه من ضعف ، ولكنها أقضت مضاجع الأعداء فى شرق وفى غرب ، ولم يستطيعوا اسقاطها الا بعد أن تعاونوا جميعا على ذلك وبذلوا أقصى ما يستطيعون ، ومزقوا المسلمين الى شيع وأحزاب وقسموا بلادهم الى دول وأقطار حتى لا تجتمع كلمتهم مرة أخرى على منهج الله وشريعته ، وودوا لو ردوهم عن دينهم ، وانتزعوا من بين ضلوعهم عقيدتهم وايمانهم بربهم ، وبعدالة شريعته ، واستقامة منهجه ، وتمنوا لو استطاعوا أن تخمد أصوات المنادين والمطالبين بالرجوع الى منهج الله والاحتكام الى شريعته • ولكن هيهات هيهات مادام فى قلوب المسلمين عقيدتهم ، وبين أيديهم كتاب الله الذى تكفل بحفظه الى يوم الدين كما قال تعالى : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) الآية ٩ ــ الحجر •

ولن يكف عن المطالبة بذلك أحد من المسلمين ، الا من مال به الغرض ، وأعماه الهوى فأعرض عن الهدى وصد عن السبيل ، والله تعالى يقول : (فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا ؟ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ، وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) الآيات ١٢٣ ــ ١٢٧ ــ طه •

● ويضاف الى هؤلاء المشككين فى امكانية تحقيق منهج الله فى أرضه وبين عباده من يقول بأن هذا المنهج الربانى يكلف المسلمين جهدا شاقا لم يستطيعوا الصبر عليه طويلا ، لذلك سرعان ما تفلتوا منه لعجزهم عن الوفاء بتكاليفه ، والالتزام بأحكامه .

والحق الـذى لا شك فيه أن هذا المنهج يتلاءم مع الفطرة الانسانية كل التلاؤم ولا يتعارض معها بحال لأنه من صنع الله الذى فطرها ويعلم ما يصلح لها قال تعالى : (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) الآية ٣٠ ــ الروم .

● ويكفى أن نعلم أن الله خلق لنا مافى الأرض جميعا وأباح لنا أن نتمتع بالطيبات منها فى غير سرف أو تقتير ، ومن غير بغى ولا عدوان . قال الله تعالى : (يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون. قل انما حرم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) الآيات ٣١ ــ ٣٢ ــ الأعراف .

كما نعلم أنه سبحانه لم يكلفنا بما لا طاقة لنا به . فتكاليفه جل شأنه قائمة على الاستطاعة ورفع الحرج عن المكلفين (لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) الآية ٢٨٦ البقرة . (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) الآية ٧٨ الحج ، وقال تعالى: (فاتقوا الله ما استطعتم) الآية ١٦ ــ التغـابن ــ (والحـديث موصول ان شاء الله) .

عبد اللطيف محمد بدر

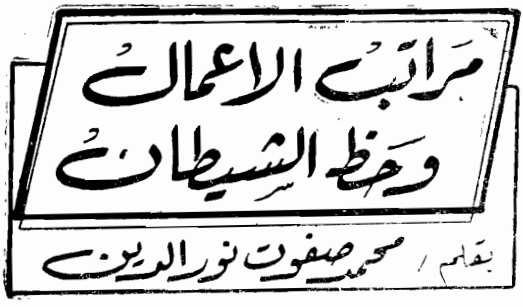

قد نعلم من النصوص الشرعية أفضلية عمل بعينه ، أو أنه أكثر ثوابا أو نفعا للعبد ، فيظن أحد أن المطلوب هو التزام ذلك وان اختلفت الأحوال • هذا وكثيرا ما يقع الانسان فى الاختيار بين أمرين تنص الأحاديث على فضل أحدهما ويرى هو أنه أكثر حاجة للآخر • وقريب من هذا الباب الوقوع فى ارتكاب أخف الضررين •

ومن ثم فهذه كلمة للامام الجليل ابن القيم كتبها فى كتابة المفيد (الوابل الصيب) يبين فيه هذه المسألة التى أرى أنها تصحح كثيرا من المفاهيم بل وهى تحذير من حيل الشيطان حيث يحاول أن ينقل الانسان من الفاضل الى المفضول فى العمل أو الحال ليكسب هو الفارق فيقول رحمه الله تعالى :

قراءة القرآن أفضل من الذكر ، والذكر أفضل من الدعاء • هذا من حيث النظر لكل منهما مجردا ، وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل ، بل يعينه فلا يجوز أن يعدل عنه الى الفاضل، وهذا كالتسبيح فى الركوع والسجود فانه أفضل من قراءة القرآن فيهما ، بل القراءة فيهما منهى عنها نهى تحريم أو كراهة ، وكذلك التسبيح ، والتحميد فى محلهما أفضل من القراءة ، وكذلك التشهد .. وكذلك اجابة المؤذن عند سماعه • وان كان فضل القرآن على كل كلام البشر كفضل الله تعالى على خلقه ، لكن لكل مقام مقال ، متى فات مقاله فيه وعدل عنه الى غيره اختلت الحكمة وفقدت المصلحة المطلوبة

منه • وهكذا الأذكار المقيدة بحال مخصوصة أفضل من القراءة المطلقة، والقراءة المطلقة أفضل من الأذكار المطلقة ، اللهم الا أن يعرض للعبد ما يجعل الذكر أو الدعاء أنفع له من قراءة القرآن •

مثاله : أن يتفكر فى ذنوبه فيحدث ذلك له نوبة من استغفار، أو يعرض له ما يخاف أذاه من شياطين الانس والجن فيعدل الى الأذكار والدعوات التى تحصنه وتحوطه • وكذلك أيضا قد يعرض للعبد حاجة ضرورية اذا اشتغل عن سؤالها بقراءة أو ذكر لم يحضر قلبه فيها ، واذا أقبل على الله يسأله اياها اجتمع قلبه كله على الله تعالى ، وأحدث له تضرعا وخشوعا وابتهالا ، فهذا قد يكون اشتغاله بالدعاء والحالة هذه أنفع وان كان كل من القراءة والذكر أفضل وأعظم أجرا • وهذا باب نافع يحتاج الى فقه نفيس ، وفرقان بين فضيلة الشىء فى نفسه وبين فضيلته العارضة فيعطى كل ذى حق حقه ، ويوضع كل شىء موضعه : فللعين موضع وللرجل موضع ، وللماء موضع وللحم موضع . وحفظ المراتب هو من تمام الحكمة التى هى نظام الأمر والنهى • والله تعالى الموفق • وهكذا الصابون والأشنان أنفع للثوب فى وقت ، والتجمير وماء الورد وكيه أنفع له فى وقت آخر • وقد سئل بعض العلماء أيما أنفع للعبد التسبيح أو الاستغفار؟ فقال اذا كان الثوب نقيا فالبخور وماء الورد أنفع له • وان كان دنسا فالصابون والماء الحار أنفع له •

ومن هذا الباب أن سورة (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن• ومع هذا فلا تقوم مقام آيات المواريث والطلاق والخلع والعدة ونحوها • بل هذه الآيات فى وقتها وعند الحاجة اليها أنفع من تلاوة سورة الاخلاص •

فهذا أصل نافع جدا يفتح للعبد باب معرفة مراتب الأعمال وتنزيلها منازلها ، حتى لا يشتغل بمفضولها عن فاضلها فيربح ابليس

البقية صفحة (٤٣)

الاستعاذة وفوائدها

بقلم

على حفنى ابراهيم

— ٣ —

وفى الصحيحين من حديث صفية بنت حيى زوج النبى صلى الله عليه وسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم) • وقال أبو الفرج الجوزى فى كتابه تلبيس ابليس : اعلم أن الآدمى لما خلقه الله ركب فيه الهوى والشهوة ليجتلب بذلك ما ينفعه ووضع فيه الغضب ليدفع به ما يؤذيه وأعطى العقل كالمؤدب يأمره بالعدل فيما يجتلب ويجتنب وخلق الشيطان محرضا له على الاسراف فى اجتنابه واختلابه • فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذى قد بانت عداوته من زمن آدم عليه الصلاة والسلام •

وأقول ان الله سبحانه الحكيم العليم لما خلق الانسان وجعله خليفة فى الأرض اقتضت حكمته سبحانه أن يضع فى الانسان ما اتفق على تسميته بالغرائز مثل غريزة الخوف والطمع والرجاء والحب والبغض وغريزة الشهوة والغضب ••• الخ وذلك لكى تصلح به الحياة ويصلح هو بالحياة وانما يأتيه الشيطان من ناحية هذه الغرائز ويستميله الى مخالفة أمر الله سبحانه ويوقعه فى معصية الله مثل غريزة الطمع لكى يعمر الانسان ما حوله طمعا فى الزيادة • ومثل غريزة الشهوة بغية أن ينجب الذرية ، وغريزة الغضب لتثور حميته فيحفظ حقوقه ويصونها ، وهكذا بقية الغرائز • غير أن الشيطان

الرجيم ينسيه حق الله عليه وينسيه أن الله وراء سعيه يكتب عنه أفعاله • ومهمة الدين هنا أن يوضح له طريق العدل فى الأمور كلها، ويقف بالانسان على حدود الله ، ويوجهه الى الانتفاع بما وضع الله فيه من تلك الغرائز ، ويضعها فى موضعها فتعود عليه بالنفع ليصبح عضوا صالحا فى المجتمع الانسانى • وجاء فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم . فاذا ذكر الله خنس واذا نسى الله التقم قلبه) والخطم للطير منقاره وللحيوان فمه . وفى الحديث أيضا (ان للشيطان لمة بابن آدم ، وللملك لمة . فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق . فمن وجد من ذلك شيئا فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان• ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) الآية ٢٦٨ البقرة•

وأقول أيضا ان طرق الشيطان المتعددة يمكن حصرها فى طريقين• وقد سماهما ابن القيم فى كتابه (اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان) بمرضين : مرض الشهوة ومرض الشبهة • قال : والقلب السليم الذى قال الله سبحانه فيه (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) الشعراء ٨٨ ، ٨٩ قال هو السليم من هذين المرضين • ومرض الشهوة مركزه الغرائز التى يتسلط عليه الشيطان من قبلها (بكسر القاف وفتح الباء) فيؤزه الى المعصية أزا فينغمس فى شهواته فيقدم رغبات نفسه على أوامر الله التى فيها سعادته وعزته وفلاحه• فكم ترى من صالح انقلب الى طالح ، وكم من طائع لله ترك طاعة الله وترك الصلاة واتبع الشهوات ، وكم من منفق ماله من زكاة وصدقات بخل بماله على فعل الخيرات • وانما يدفع الانسان عن نفسه هذا البلاء حينما يذكر الله وثوابه وعقابه ويذكر نعيم الجنة وعذاب الجحيم . يذكر حساب الله الذى سوف يوقفه بين يديه يوم القيامة

ليس بينه وبينه ترجمان • وبالها من مواقف لا طاقة للانسان بهـا الا بعون من الله • ولا يمكن الحصول على عون الله الا بتقوى الله والعمل على مرضاته ، والجهاد فى سبيل دينه ، وأن يطوع الانسان نفسه لربه فيقيم لله الوقار عن علم وبصيرة من كتاب الله وسـنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيمده الله بعونه وقوته ، فيتغلب على شيطانه ويغلق دونه بابه ، ويحس بمدى عداوة الشيطان وأنها لا عداوة بعدها • فكلما أحس بميول الى معصية أو ترك طاعة علم أن ذلك من عدوه الشيطان فيلجأ الى الله مخلصا طالبا منه سبحانه العون على عدوه ، فاذا به يتخذ من الغفلة سبيلا الى اليقظة فلا يسـتطيع أن يقرب منه • قال الله تعالى (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) الاعراف ٢٠١ •

وأما مرض الشبهة فهو أثر الجهل والبعد عن آيات الله فى كتابه وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم ، والبعد عن آيات الله فى الأنفس وفى الآفاق • فانه بذلك يفتح على نفسه باب الشيطان ويسـمح له بالدخول الى قلبه وعقله ووجدانه • فان الشيطان أكثر ما يتواجـد عند الجهلاء بالعلم الذى ارتضاه الله لعباده وجعله حياة قلوبهم • قال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا) الآية ٥٢ سـورة الشورى . والروح مركز الحياة وعدم وجودهـا معناه الموت . قـال تعـالى (أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها) الآية ١٢٢ سورة الأنعام • وشر الموت هو الموت المعنوى حيث يبقى الانسان جسدا بلا وجدان وقد مات فيه الاحساس بمسئولياته أمام الله ، وهو الأمر الذى يتوقف عليه صلاح أمره ، ويعد الانسان للقاء الله فى الآخرة لينال ما أعده الله له من جنـات النعيم •

وقد أوعز الشيطان الى كثير من الناس من أنه يكفيه فى عبادته لله أن يكون مخلصا وكفى حتى لو كان على غير السنة • ولو حاولت توجيهه الى السنة مع الاخلاص يعتبرك متزمتا ، ثم تسمع من بعضهم « عصاتى ومعزاتى يارب اقبل صلاتى يعنى ربك رب قلوب وحسب » ونعم ربك رب قلوب وكذلك رب شرع ومنهج • والحق أن الانسان ملزم وهو يعبد الله أن يحقق أمرين : الأول : الاخلاص فى العمل وهو أن يبتغى وجه الله وحده بعيدا عن الرياء بحيث يستوى عنده مدح الناس له أو ذمهم . والثانى : وجوب متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وأن يتخذه اماما له • وهذا معنى قول الله تعالى (قل هل ننبؤكم بالأخسرين أعمالا ؟ الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) الكهف ، ١٠٣ و ١٠٤ فالعمل غير المبنى على السنة عمل حابط باطل لا يقبله الله • ولو أن انسانا أخلص لله الاخلاص كله ولم ينهج منهج السنة ، كأن يصلى الظهر خمس ركعات أو يزيد فى الركعة ركوعا ، أو يصوم أكثر من شهر باسم رمضان ••• فهل مثل هذا العمل يقبله الله ؟ والمقصود أنه لا بد من الأخذ بالسنة مع الاخلاص •

فالشيطان يحاول أكثر ما يحاول ان يبعدك عن العلم الصحيح بأية وسيلة وبأية حيلة • وانما يدفع الانسان عن نفسه هذا الخطر الشيطانى اذا أخذ بوسائل العلم بالله تعالى عن طريق القرآن والحديث وعن طريق العلم بآيات الله فى الأنفس والآفاق مع الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم وحسن اللجأ الى الله ليمده من عنده بمدده الذى لا نهاية له •

واعلم يا أخى المسلم أن الشيطان لا ييأس من غوايتك وهو دائما ينصب لك شراك الخداع ليصدك عن ربك وعن دينك • وكلما

نجوت من حفرة أوقعك فى أخرى فاذا نجوت من الشرك جاءك وأزك الى المعصية واذا نجوت من كبائر المعاصى يسر وهون لك صغيرها وحاول أن أشغلك عن الفرائض ، فاذا استعنت وقمت بالفرائض شغلك عن فضائل الأعمال • كما أن له حيلا قد تخفى على كثير من الناس ، فلو أن رجلا يسر الله له القيام آخر الليل للصلاة والدعاء وهو أفضل الأوقات ففى سبيل أن يترك الرجل هذا العمل تجده يحضه على المزيد منه ثم المزيد ثم المزيد حتى يتعب الرجل من طول السهر فيترك العمل كله • ومن هنا نعرف معنى الحديث (اكلفوا من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وكان أحب الدين عند الله أدومه وان قل) وطبعا هذا عن السنن أما الفرائض فالمطلوب أداؤها كاملة •

والأدهى والأمر أن الشيطان عليه لعائن الله يضع لك العقبات عندما تهم بأى عمل صالح ، فاذا تغلبت عليه يوحى اليك باعجابك بنفسك أو أن تعمل العمل رئاء الناس وهو كما جاء فى الحديث (الشرك الأصغر) •

والمقصود يا أخى المسلم أن تعلم أن الشيطان هو أخطر شىء عليك بل هو أخطر من الوحوش الضارية ومن العقارب والحيات والثعابين ولا قيل لك به الا بعون من الله تعالى مستلهما منه التوفيق والرشد والنصر شاعرا بضعفك وحاجتك الى الله محاولا مرضاته والعمل بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم •

اللهم اكتب لنا النجاة منه واجعلنا فى حصنك الحصين وادركنا بعفوك ومغفرتك اللهم آمين •

على حفنى ابراهيم

— ٧ —

علم الغيب

من توحيد الالهية اعتقاد المسلم أن الغيب علم يختص به الله سبحانه وتعالى ، وليس لأحد ادعاء ذلك ، وأن المولى جل جلاله لا يطلع عليه أحدا الا من ارتضى من رسول ، تثبيتا لدعوته ودعما لرسالته • كما قال تبارك وتعالى « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا » ٢٦ — ٢٧ سورة الجن •

والآيات فى هذا الباب أكثر من أن تحصى حيث تشرق نورا فى قلوب الموحدين عقيدة وتلاوة • وأجمع آية شاهدة فى محل النزاع قوله تعالى « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم مافى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين » ٥٩ من سورة الأنعام •

نعم ان جلال الحق يهيمن على القلوب ، واشراق الهدى يزيل الظلام وينير السبيل ، ولا ينكر ذلك الا من ختم الله على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة • من ذا الذى يعلم الغيب سوى الله حتى نسأله عن مكنون البر والبحر ، ونستفسر منه عن عدد الأوراق التى سقطت من أشجارها وكم كل نوع منها ، وما عدد الحبوب فى غياهب الأرض ، ومتى تنبت وما أنواعها ونتاج ذلك ، وكم منها سيكون رطبا ويابسا ؟

لن تجـد الا هروبا من الميدان ، بل ولن تجد من يجرؤ على أن يدلك على مافى نفسه دقة واحكاما ، أو عدد نبض القلب وتردد النفس اليومى ، أو طرف العين أو شعر الرأس الى آخر ما فى مفهوم قول الحق سبحانه « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » وكل ذلك من خصائص الله جلت قدرته كما قال « قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله • وما يشعرون أيان يبعثون » ٦٥ ــ النمل •

وفى ذلك من الحكمة الالهية مايجلى صدأ القلوب وينير البصائر، كى يظل دولاب الحياة سائرا دون عطب ، اذ لو أن كل انسان علم مايحدث له مستقبلا لتوقفت الحياة وشلت حركتها ، وبيان ذلك قول الله سبحانه « ان الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما فى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غـدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت ، ان الله عليم خبير »

ومع هذا البيان الكافى والبلسم الشافى يأبى محرفو الكلم عن مواضعه الا أن يوهموا أمثالهم قائلين ــ تثبيتا للضلال فى العقول ــ ان الشيخ الفلانى أرشد على المخبوء الذى حار فيه النطاسيون والمهرة، وما أدراك ما أرباب (المندل ، وضارب الودع ، وقارئة الفنجال ، والكف)

ان الغيب منفى عن سوى الله سبحانه • وتعالوا نناقش هذه القضية بايجاز حيث لن أكون أول من تكلم فيها ــ فلقد سبقنى المنصفون بيانا وتبيانا •

الملائكة لا يعلمون الغيب :

نعم ــ الملائكة وهم عباد مكرمون ، يسبحون الليـل والنهار لا يفترون ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، لا علم لهم بالغيب الذى اختص الله به نفسه • وبيان ذلك فى قوله تعالى « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها

من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال انى أعلم مالا تعلمون » ٣٠ البقرة .

وتمضى الآيات كريمة عظيمة تفند اختيار الله لآدم واصطفاءه عليهم ، حتى عقد اختبارا لهم أمام آدم ، فكانت النتيجة عجزهم التام ، ونجاح آدم عليه السلام ، وظهر الحق فى اختيار الحق ، وختم المطاف بقول الله « ألم أقل لكم انى أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون »

الجن لا يعلمون الغيب :

كذلك الجن لا يعلمون الغيب . ولا أدل على ذلك من موقفهم مع رسول الله سليمان ، حيث قضى عليه متوكأ على عصاه ، وظل هكذا حتى خر على الأرض بلا حراك ، والجن يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ، وذلك عمل مرهق لا يقوى عليه الا الجن حيث سخرهم الله لسليمان عليه السلام ، فماذا قال الجن حين رأوا السلطان خر ميتا ؟ قالوا ماقصه الله تعالى فى سورة سبأ « فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين » ولو كانوا يعلمون الغيب كما هو فى زعم المناوئين للحق ، فلماذا لم يعرفوا من أول وهلة سبب رجمهم بشهب السماء ؟.

ثم لنقرأ قول الجن أنفسهم فيما قصه الله فى السورة المسماة باسمهم : « وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا » ١٠ ــ الجن .

الانس لا يعلمون الغيب :

وكذلك الانس لا علم لهم بالغيب . وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ وهو حيث قد علمت منزلته عند الله ــ لا علم له بالغيب، الا بقدر ما أطلعه الله عليه دعما للنبوة وتثبيتا للرسالة كما مر بك آنفا.

وعليك أن تنظر فى كتاب الله سبحانه ، تجد أن الله يقول للرسول محمد عليه السلام « قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » ١٨٨ الاعراف .

نعم ، ونحن نحب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى اخوانه الرسل ، ومنتهى الحب فيه ألا نرفعه فوق منزلته التى أنزله الله اياها حيث أنه عبد ورسول لا يعلم الغيب ، والا فلماذا لم يعرف مصير معركة أحد ؟ هل كان يريد هزيمة الصحابة وقتل العشرات فيها ومنهم أسد الله حمزة ؟ هل كان يريد أن تكسر رباعيته ويشج رأسه وتسرى الاشاعة أنه قد قتل مما أدى الى ارتداد بعض المسلمين ، الأمر الذى جعل المشركين يشيدون بآلهتهم وينسبون النصر الى هبل والعزى ، هل كان الرسول يريد ذلك ؟

ولماذا لم يعرف الرسول الغيب فى قصة الافك ، والتى ظلت قرابة شهر مما أدى الى أن تلوك الألسنة وتقع فى عرض الزوجة البكر لرسول الله عليه السلام ؟

وأيضا ــ لماذا لم يعرف الرسول من هو الظالم من المظلوم عند تخاصمهم أمام حجرته فقال : « انما أنا بشر ويأتينى الخصم ، فلعل بعضكم يكون ألحن بحجته من أخيه فأقضى له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له بحق أخيه فانما أقطع له قطعة من جهنم فليأخذها أو يتركها » ولماذا لم يعرف أبا ذر ذات ليلة وهو يسير خلفه فى ظل القمر حتى أخبره عن نفسه وهو عليه السلام يسأل قائلا : من هذا ؟ ولماذا لم يعرف عائشة وهى تسير أمامه عند رجوعه من المقابر ذات ليلة حيث تركها فى ليلتها وقام من جوارها ليزور الموتى بتكليف من الله عن طريق الوحى ، فحسبته أنه فضل احدى زوجاته عليها ، مما جعله يسألها عن سبب تردد النفس المضطرب فى صدرها على غير

هيئة النائم العادى ـ فموهت الجـواب • فقـال ان لم تخبرينى فسيخبرنى العليم الخبير ؟ ولما علم الحق من قولها قال لها أخفت أن يحيف الله عليك ورسوله ؟ ولماذا لم يعلم حقيقة مؤامرة النسوة عليه فى أول سورة التحريم ، مما أدى الى تحريم ما أحله الله له ؟ ولماذا لم يعلم يعقوب عليه السلام مكان ولديه يوسف وأخيه ، وهما بمصر؟ ولماذا لم يعرف أهل الكهف والذى مـر على قرية وهى خاوية على عروشها كم لبثوا فى غيبتهم عن الحياة المادية ؟ لكنهم البشر الكرام على اختلاف مراكزهم عند الله منزلة ، يقفون حيث أوقفهم ربهم وعلموا أن الحـق لله ، ولم يقحموا أنفسهم فى شىء اختص الله به نفسه •

فاذا كان علية البشر وخاصة الملائكة وعامة الجن لا يعلمون الغيب •• أفبعد هذا يدعى دعى أن فلانا أو فلانة مهما كانتنوعياتهم يعلمون غيبا أيا كان شأنه ؟

والا فان أبوا الا زعما كهذا ، فأرجو قبـول اقتراح أعرضه عليهم ، والأمل معقود على تنفيذه : ليخبرنا أهل الكشف والعرافون ومن على شاكلتهم عن أماكن البترول والخام من المعادن فى بلادنا ، وعن منابع المياه فى صحارينا لتكون الثورة الخضراء ، ولا داعىلبيوت الخبرة من الهيئات العالمية لتكون ثرواتنا ملكا خالصا لنا ، أو حتى يخبرنا أرباب المندل عن مخازن الدمار التى أعدها العدو للاجهاز على الآمنين الوادعين ، أو عن نتائج المعارك الضارية بين اخوة الدم والدين، أو عن أسئلة الامتحانات ليطمئن أولو الأمر على فلذات أكبادهم •

أخى القارىء :

اعرض على ذوى الكشف والدجاجلة هذا لعله اقتراح يفيد •

والى لقاء آخر والله المستعان •

ابراهيم شعبان يوسف

تحريم التعامل بالربا

بقلم / المستشار محمد كمال فراج

كانت جريدة الأهرام قد نشرت فى صفحة الفكر الدينى — على مدى عدة أسابيع — مقالات لبعض علماء المسلمين يحرم فيها التعامل بشهادات الاستثمار باعتبارها نوعا من الربا . فكتب الأستاذ أحمد بهاء الدين محرر عمود (يوميات) بالأهرام الصادرة يوم ٦ جمادى الأولى ١٤٠٢ الموافق ٢ مارس ١٩٨٢ كلمة بدأها بقوله « لست أدرى كيف يترك « كبار » رجال الدين يكتبون فى الصحف أن شهادات الاستثمار حرام ، لأنها نوع من الربا ، دون أن نجد من يرد عليهم ويناقشهم ؟ ان هذه الأمور التى تبدو هينة هى أمور خطيرة جدا ، لأنها تترك فى نفوس الشباب والبسطاء رواسب خطيرة » .

ثم يقول : « لقد قرأت كل فتاوى الخمينى — مثلا — ووجدت أنه يحلل طبقا للشريعة كل المعاملات المالية المعروفة حاليا ، ولم يحرم الا اليانصيب .. على أساس أنه قمار .. » .. الخ .

ولقد وردت الينا الكلمة التالية من المستشار محمد كمال فراج وهى مرسلة أساسا الى جريدة الأهرام . ولقد رأينا نشرها بمجلة التوحيد .

رئيس تحرير الأهرام :

بالاحالة على مقالة الأستاذ أحمد بهاء الدين فى عمود يوميات المنشور فى العدد ٣٤٧٧٨ بتاريخ ٢ مارس ١٩٨٢ أرجو الموافقة على نشر الآتى ، فان من حق المسلم « حسبة » الرد على ما يمس حكم الله، وهو حق لا يخرج على مقتضى القانون •

فمن الواضح أن لغة المقال تثير خلافا بين « كبار » رجال الدين وبين الشباب والبسطاء يحدث رواسب خطيرة فى موضوع تحريم شهادات الاستثمار • ومن الواضح أيضا أن الأستاذ الكاتب لم يتحر شرعية الموضوع ، واذا كان من حقه آن يكتب فى الصحف فالأولى بحكم القرآن أن يبلغ بجميع وسائل النشر • وليس فى الاسلام (رجل دين) بل حكم وحاكم ومحكوم فيه ومحكوم عليه أى مكلف لا فرق بين حاكم ومحكوم • وبناء على هذا لا يكون الخمينى حجة برأيه •

وفى لجنة الاقتصاد والمال بمجلس الشعب المصرى انتهينا الى تحريم الربا بنص قطعى الدلالة وكان من بين معاملاته شهادات الاستثمار ما عدا المجموعة « ج » (١) ورؤى امهال المتعاملين بالربا فترة يصححون خلالها أوضاعهم •

وفقه الاسلام يقيم الهيكل الاقتصادى على أرقى ما عرفه الفكر المعاصر ، وليس من الصحيح منهجيا تجريد الاقتصاد الاسلامى من جوانبه وقصره على الوصف اللاربوى ، ومنهج الاسلام أنه كفاء وشفاء ووفاء ووقاء ، ولا أتفق مع القول بالبديل الشرعى ، فالبديل يقتضى المساواة ، ولكن الربا تخريب للاقتصاد بالمفهوم الاقتصادى وبالحرمة الشرعية •

---

١ ــ وحتى هذه المجموعة قد أفتى بعض علماء المسلمين على صفحات الاهرام وغيرها بتحريمها (التوحيد)

ويعتمد التحليل الاقتصادى على أن فكرة القيمة فى القرآن تمتاز عن دلالتها فى الاقتصاد • فهى تتعلق بكل مال له منفعة تحافظ على بقاء الكون احياء وانماء • والربا أسلوب تعامل ، فهو وسيلة لا تتعداها الى الغاية ، فلا تكون المبادل الا بين قيمتين محددتين ، وهذا أصل فى البيوع فى القانون المقارن والمنقول بالدليل عن الفقه القرآنى فى تحديد محل الالتزام والأستاذ الكاتب زميل فى هذا التخصص •

ومن الجدير بالذكر أن مذهب اللجنة فى مجلس الشعب لم يتخذ الا بعد الموافقة الاجماعية للمؤسسات المتعاملة بالربا • والبنك الدولى ذاته عدل عن نظام الاقراض بفوائد الى نظام المشاركة فراجت معاملاته من نسبة ١٢٥ر١٪ الى ما يزيد على ٢٥٪ •

وختاما ففى الاسلام يكفل الاستقلال لعلماء الدين الا من أتباع الفقه ليتحرروا من ابتداع الفكر •

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ••

مستشار محمد كمال فراج

بقية مقال (مراتب الاعمال)

الذى بينهما ، أو ينظر الى فاضلها فيشتغل به عن مفضولها ان كان ذلك وقته فتفوته مصلحته بالكلية لظنه أن اشتغاله بالفاضل أكثر ثوابا وأعظم أجرا • وهذا يحتاج الى معرفة بمراتب الأعمال وتفاوتها ومقاصدها ، وفقه فى اعطاء كل عمل منها حقه وتنزيله فى مرتبته وتفويته لما هو أهم منه ، أو تفويت ما هو أولى منه وأفضل لامكان تداركه وتعود اليه ، وهذا المفضول ان فات لا يمكن تداركه فالاشتغال به أولى . وهذا كترك القراءة لرد السلام وتشميت العاطس وان كان القرآن أفضل ، لأنه يمكنه الاشتغال بهذا المفضول والعود الى الفاضل بخلاف ما اذا اشتغل بالقراءة فاتته مصلحة رد السلام وتشميت العاطس ، وهكذا سائر الأعمال اذا تزاحمت • والله تعالى الموفق •

انتهى بتصرف يسير

محمدصفوت نور الدين

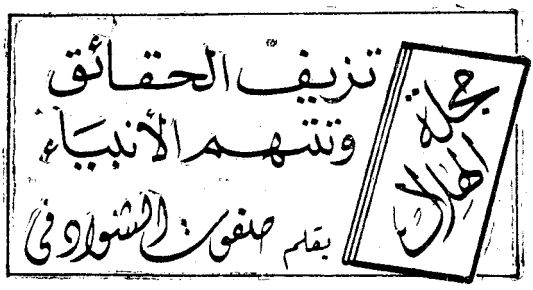

الحمد لله الذى هدى المؤمنين لما اختلف فيه من الحق باذنه.. وصلاة وسلاما على أنبيائه الذين صنعهم على عينه .. وبعد .

يبدو أن البعض يحلو له أن يتخذ من حرية الفكر ذريعة يقول من خلالها رأيه فى كل شىء حتى فى الدين الذى يعتنقه !! ووسيلة يحكم بها على كل شىء حتى على الأنبياء الذين آمن بهم !! وبذلك أصبحت حرية الفكر وبالا على أصحابها حتى أن أحد الأدباء المصريين ــ وما أكثرهم فى زماننا ــ يقول لجريدة مايو « أنا أؤمن بأن الفن والدين يلتقيان . وأن ورثة الأنبياء هم الفنانون » !! على الرغم من أن هذا الأديب الكبير تقول عنه مجلة الهلال التى بين أيدينا الآن انه « عاش سنوات حياته الأولى مع أسرته فى ركاب السيدة ــ تقصد السيدة زينب ــ وحماها » ! .

ويبدو أن الحمى المزعوم لم يكن كافيا حتى يحمى أديبنا من الزلل فحرم العلماء من ميراث النبوة ــ وهم أحق به وأهله ــ وورث الفنانين ظلما وعدوانا وليس لهم من ميراث الأنبياء قليل ولا كثير ..

نعود بعد هذا الاستطراد اليسير بقارئنا الكريم الى الحديث عن مقالة نشرتها مجلة الهلال فى عددها الصادر فى فبراير الماضى وموضوعها « قدماء المصريين .. وبناء الكعبة » .

ونريد فى كلمات قصار وبموضوعية كاملة أن نبين وجه الحق فيما هو مكتوب وأن نظهر ما احتوته المقالة من تزييف للحقائق وتضليل للعقول « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » ••

تعرض كاتب المقال لنقاط عديدة منها ما يتعلق بالأنبياء الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين • ومنها ما يتعلق بالنقول والآراء التاريخية ومعظمها ان لم يكن كلها عارية من الدليل مفتقرة الى البرهان!

أولا : يقول الكاتب « وكانت آخر رسالات التوحيد هى التى نادى بها أخناتون فى الأسرة الثامنة عشرة ثم خرج بها موسى عليه السلام من مصر حاملا رسالة التوراة » !! ويبدو من هذه العبارة أن الكاتب قد استقر فى ذهنه أن موسى قد تلقى علم التوحيد على يد أخناتون أو أن أخناتون هذا كان رسولا نبيا !! ان موسى نبى الله وكليمه قال له ربه « ولتصنع على عينى » فهو مصنوع على عين الله وليس على عين أخناتون •• والتوراة التى نزلت على موسى عليه السلام جاءت من السماء ولم تخرج من الأرض !! •

ثانيا : يقول الكاتب فى موضع آخر « فاذا حاولنا البحث عن جذور رسالة التوحيد ونزولها على البشرية نجد أن أول رسالة للتوحيد نزلت فى أرض مصر كنانة الله فى أرضه » !! •

والعجيب أن الكاتب فى هذه المرة قد غير وجه الحقيقة ونحن نتساءل : أهو استخفاف بعقول القراء أم قصور فى فهم الكاتب ؟؟ والحقيقة أن آدم هو أول الرسل على خلاف بين العلماء وهو صلوات الله عليه وسلامه قد أهبط على جبل بالهند فى المشهور من أقوال العلماء ــ والله أعلم ــ ونوح هو أول الرسل باتفاق أكثر العلماء

وهو لم يولد بمصر ولم تنزل عليه الرسالة بها • بل ان الأنبياء الذين دخلوا مصر لم تنزل عليهم رسالات التوحيد بها ! •

أليس لدى الكاتب وسيلة للاشادة بمصر سوى هذه ؟ أوليس فى تراثنا الحضارى مندوحة عن التزييف !! •

ثالثا : « تعرض المجلة صورة لوحة تزعم انها اكتشفت فى حفريات مدينة منف ويدعى الكاتب أنها صورة ابراهيم عليه السلام حيث زار معابد مدينة منف وتزوج الأميرة هاجر المصرية !! » •

ثم يزعم فى موضع آخر أن هاجر من أميرات الأسرة الثانية عشرة!•

لقد روى البخارى ومسلم وهما أصح كتب الحديث المعتمدة لدى علماء المسلمين أن ابراهيم عليه السلام لما سافر الى مصر أتى على أحد الجبابرة• ــ وهو ملك مصر فى ذلك الوقت ــ فقيل له : ان ههنا رجلا معه امرأة من أحسن الناس فأرسل اليه فسأله عنها : من هذه ؟ قال أختى • فأتى ــ أى ابراهيم ــ فقال لها : ان هذا الجبار ان يعلم أنك امرأتى يغلبنى عليك فان سألك فأخبريه أنك أختى•• فانك أختى فى الاسلام ، ليس على وجه الأرض مؤمن غيرى وغيرك فأرسل اليها فأتى بها • وقام ابراهيم يصلى فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ حتى ركض برجله فقال : ادعى الله لى ولا أضرك• فدعت الله فأطلق • ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد فقال : ادعى الله لى ولا أضرك • فدعت الله فأطلق • فدعا بعض حجبته فقال : انكم لم تأتونى بانسان انما أتيتمونى بشيطان •• فأخدمها هاجر •• الخ الحديث » •

وقد وضح من هذا الحديث الصحيح أن نبى الله ابراهيم يوم أن دخل مصر مع زوجته لم يكن على وجه الأرض مؤمن غيرهما وهذا ما صرح به فى الحديث •• وهو حديث نبى عن نبى فالصدق من لوازمه•

فلأى سبب يكرم ابراهيم وتنحت أو ترسم له صورة فى معابد منف ؟! ثم ما العلة فى زيارته لمعابد منف ؟ ما دام الايمان غير قائم على الأرض؟ وقد حكى القرآن عن ابراهيم أنه دخل معابد قومه فحطم أصنامهم وكسر أوثانهم فلا معنى لتلك الزيارة بل لا أصل لها يعول عليه « ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس • ولقد جاءهم من ربهم الهدى »•

وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هاجر كانت جارية وأخدمها ملك مصر لسارة • ولكن الكاتب يزعم أنها من أميرات الأسرة الثانية عشرة وذلك لسر بديع فى نظر الكاتب هو أن هاجر رضى الله عنها مصرية فهو لا يرضى لها أن تكون جارية ويرفعها الى أميرة متوهما بذلك أنه أكرمها وكأنه يجهل أن معيار التفاضل بين البشر هو التقوى وصالح العمل ••

ثم يذكر الكاتب فى موضع آخر عن هاجر أنها بحثت عن قبائل جرهم المصريين الذين قاموا بايوائها وأمكنها التفاهم معهم •• وقد جانبه الصواب أيضا فى هذه المرة ــ خطأ أو عمدا ــ فان جرهم كانوا يبحثون عن الماء فرأوا طيرا فاستدلوا به على وجود الماء فأتوا الى مكانه فوجدوا هاجر فاستأذنوها فى المقام قرب الماء فأذنت لهم وتزوج اسماعيل عليه السلام بعد ذلك منهم ••

رابعا : رأى الكاتب أنه لم يوف أخناتون حقه فذكر مرة أخرى أن موسى عليه السلام كان قبل نزول التوراة من أتباع عقيدة أخناتون التوحيدية التى كان ينادى بها سرا ! ونحن لا نفهم كيف يرضى مسلم لنفسه أن يتهم الأنبياء جزافا بالتبعية لمن دونهم من البشر ! بل الأدهى من ذلك والأشد جرما انه يقول عن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم « وليس هناك من شك فى أن زيارة جميع الأنبياء الى الكعبة ابتداء من سيدنا ابراهيم الى اسماعيل وشعيب وموسى بدأت جميعها بعد زيارتهم لمصر وتفهمهم لعقيدة التوحيد وايمان المصريين بالبعث والحساب والآخرة وخلود الروح » !! •

ولم يعرف الاسلام ــ فيما أعلم ــ جرأة على الأنبياء من أتباعه مثل هذه • فالأنبياء الذين اصطفاهم الله من خلقه ورباهم وصنعهم على عينه وأرسلهم الى خلقه يتفهمون ــ فى نظر الكاتب ــ عقيدة التوحيد من المصريين !! وقياسا على هذا المنطق الفاسد فان الأنبياء لو لم تسقهم الاقدار لزيارة مصر لبقى التوحيد عندهم غامضا لا يدركون كنهه ولا يعرفون حقيقته !! •

ان الأنبياء خلقهم الله على الفطرة وتربوا على التوحيد منذ نعومة أظفارهم ولو أن الكاتب بقى على فطرته التى خلقه الله عليها لعرف للأنبياء قدرهم ومكانتهم •

خامسا : أباح الكاتب لنفسه أن يفسر القرآن برأيه غير عابىء بأن يلتقى فى فهمه للقرآن مع الحق أو مع الباطل ! فذهب يلوى أعناق الآيات حتى يرفع بها منزلة الفراعنة القدامى • فهو يفهم من قوله تعالى لفرعون « فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية » ان الله قد نجى فرعون من الغرق عندما رأى معجزة ربه فآمن !! وهذا فهم فاسد وباطل • فان ايمان فرعون قد رده الله عليه ولم يقبله منه • ونجى بدنه بعد موته غرقا حتى يعتبر به من خلفه • ولكن يبدو أن بعض أحفاده لم يستفيدوا من تلك الآية فتنكروا لها ورفعوا فرعون الى مصاف المؤمنين الموحدين ! وأخيرا فنحن نذكر أنفسنا وغيرنا بمراقبة الله فيما نقول أو نكتب فان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يرى بها بأسا فيهوى بها فى النار سبعين خريفا •

نسأل الله أن يجنبنا زلل من زل وضلال من ضل وأن يرزقنا استقامة من به اتصل •

انه نعم المولى ونعم النصير •• والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ••

صفوت الشوادفى